الرسائل النادرة

كتاب

التبصر بالتجارة

في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة ، والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري

عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه

العلامة السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي

أحد أعضاء المجمع العلمي العربي

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الأولى
١٣٥٠ - ١٩٣١
الطبعة الثانية
١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م
الطبعة الثالثة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

الإيداع ٩٤/٣١٥
الترقيم الدولى
I-S-B-N
977-505-095-15

كتاب

التبصر بالتجارة

للجاحظ

توطئة للناشر

الجاحظ بصرى المولد والوفاة ، بالبصرة وُلد وبهـا شبّ ودرج ، وفيها دوّن غالب تآليفه .

ما بين نصفى القرن الثانى والثالث نبغ الجاحظ حينما كان « العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق [1] » ، وكيف لا تكون كذلك وهى عندئذ باب بغداد الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف الدنيا ، نظير مرسيلية اليوم بالنسبة الى فرنسا أو جنوة لايطاليا وليفربول لبلاد الأنكليز ، بل امتازت البصرة على تلك المراسى بنصيب أوفر وحظ أكبر إذ كانت مقصد القوافل الواردة من كل حدب وصوب ، ومحط رحال الشرق والغرب ، من مجاهل الصين الى مفاوز الصحراء الكبرى ، ولذلك استفحل بها العمران وكثرت فيها المصانع والصنائع وصارت واسطة العرب والعجم وحق لها ان تتقلب « بقبة الاسلام » كما سماها عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) .

ناهيك ببلد جمع لحسن الموقع أضداد الأشياء وأشتات الأرزاق ومختلف المكاسب والمطالب .

---

(١) ثمار القلوب للثعالبى ص ١٢٧ ومعجم البلدان لياقوت ٢ :

فاخر خالد بن صفوان البصرى ببلده لدى عبد الملك بن مروان فقال :

« يغدو سا كنها قانصاً فيجىء هذا بالشبوط والشيم ، ويجىء هذا بالظبى والظليم ، ونحن أكثر الناس عاجاً وساجا ، وخزاً وديباجا [١] . »

وباهى الجاحظ نفسه بمسقط رأسه فقال :

« ومن أتى وادى القصر بالبصرة رأى أرضاً كالكافور ، ورأى ضباباً تحترش ، وغزلاناً وسمكاً وصياداً ، وسمع غناء ملاّح فى سفينته ، وحِدا جمّال خلف بعيره [٢] »

وقد قال الخليل بن احمد البصرى قبله [٣] :

زر وادى القصر نعم القصر والوادى ... فى منزل حاضر ان شئت أو بادى
ترَى به السفن والظلمان حاضرة ... والضب والنون والملاح والحادى

اشتهر أهل البصرة من قديم بالتطوّح فى الآفاق والترامى على الأسفار البعيدة والضرب فى منا كب الأرض طلباً للرزق والتماساً للثراء ما جعل الجاحظ يصرح : « بأنه ليس فى الأرض بلدة واسطة ولا بادية شاسعة ولا طرف من أطراف الدنيا إلاّ وأنت واجد به البصرى والمدنى [٤] » وقد اتفقت كلمة السائحين وأصحاب الرحلات على بُعد همة البصريين فى الترحال وغوْرهم فى الاغتراب حتى قال أبو بكر الهمذانى — وناهيك به من خبير : « وأبعد الناس نجعة فى الكسب بصرىّ وحِميَرىّ ، ومن دخل فرغانة القصوى والسوس الأقصى فلا بد أن يرى فيهما بصرياً أو حميريا [٥] . »

---

(١) معجم البلدان لياقوت ٢ : ٢٠٤ (٢) ثمار القلوب ص ٤١٩
(٣) الكتاب المذكور ص ٤١٩ .
(٤) كتاب البخلاء (طبعة مصر سنة ١٣٢٣) ص ١٦٠
(٥) كتاب البلدان للهمذانى (طبعة ليدن سنة ١٣٠٢) ص ٥١

ومن البديهى ان من كان فى ذكاء الجاحظ وفطنته الغريزية وحبه استطلاع الأشياء والبحث عن الجليل منها والحقير، ويشاهد عياناً ما يجلب الى العراق من أطراف البلاد وما يصدر منه الى سائر الآفاق لجدير أن يفيدنا بكل حذق وتدقيق عن الأحجار الكريمة والأعلاق النفيسة والطرائف الثمينة والرياش الغالية وعن ماهيتها وأثمانها فى عصره ، على أنه لم يكتف بمجرد ذكر المتاجر ومصادرها بل زاد فى البيان فنبه على المعمول من الجواهر واليواقيت ، والمغشوش من العطور والعقاقير ، وفرّق بين العالى منها والمتوسط والردى فأضاف الى الخبرة التفنن والى المعرفة التبصر ، وهو عين موضوع كتابه « التبصّر بالتجارة » الذى ننشره اليوم .

فلا عجب حينئذ أن اشتملت هذه الرسالة على فوائد جمّة تهم أرباب الصناعة والتجارة كما تفيد المشتغلين بعلم الاقتصاد والباحثين عن علائق العالم الاسلامى زمن غزارة حضارته وعنفوان تمدنه مع بقية الممالك .

وهى لعمرى إفادة ذات شأن ، ترشدنا إلى ما وصلت إليه عواصم الاسلام الكبرى — لا سيما بغداد — من التبحر فى العمران وتوسع سكانها فى وسائل البذخ والترف . ما جعل تجارها فى حاجة إلى توريد نتائج أطراف المعمورة وان نعُدت وركوب الأخطار والمشاق فى سبيل استجلابها وبذل النفس والنفيس فى اقتنائها إجابة لرغبة الأغنياء وتسديداً لشره النساء إما لتأثيث القصور أو لزينة ربات الخدور !

نعم ! وضع المعتنون بتقويم البلدان من أبناء العربية تآليف عديدة هى عمدتنا الآن فى معرفة العلائق التجارية قديماً وما اختص به كل صقع من أنواع النتائج ، منهم ابن الفقيه الهمذانى ، وابن رسته الاصبهانى ، وأبو زيد البلخى ، والاصطخرى ، وابن حوقل ، وابن البشارى المقدسى وغيرهم من كبار الجغرافيين وأصحاب الرحلات ،

غير أنا لا ننس أن الجاحظ هو الذى فتح لهم باب التأليف فى تقويم البلدان وخصائصها وشرع لهم هذا المنهج ، فهم فى الحقيقة عيال عليه — و إن توسعوا بعدُ — ومقتفو أثره ومقلدوه ، الأمر الذى جعل أحدهم — وهو المقدسى — يقول : « وإذا نظرت فى كتاب الفقيه فكأنما أنت ناظر فى كتاب الجاحظ [1] »

وهى لعمرى شهادة اعتراف بأسبقية الجاحظ فى خوض هذا الميدان ، وليس هو بأول موضوع يطرقه ذلك المبدع الماهر بل البحر الزاخر الذى لا ساحل له .

حرر الجاحظ هذا البحث الاقتصادى برسم أحد كبار أحبابه ممن سبقت عنايته بالتأليف والاهداء اليهم ، فهو — و إن لم يسمه — أحد الأربعة : محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم ، وقاضى القضاة احمد بن أبى دؤاد ، والوزير الفتح ابن خاقان ، و إبراهيم بن العباس الصولى ؛ وأرانى فى غنى عن إثبات نسبة هذه الرسالة إلى الجاحظ ، و إن لم يأت ذكرها بين مصنفاته الواردة فى فهرست ابن النديم ومعجم الأدباء لياقوت ، لكن أبو منصور الثعالبى [2] والعلامة النويرى [3] تكفلا بتعريفنا بها ونقلا جملا منها بالحرف الواحد ونسبتها إلى مؤلفنا الكبير حسبما نشير إليه فى محله .

على أن « التبصر بالتجارة » ليس بأول كتاب للجاحظ لم يذكر من بين مؤلفاته فان « خصائص البلدان له » — وهو غير « كتاب البلدان » — لم يرد اسمه بعدُ فى قائمة ما نسب إليه ياقوت فى معجمه وقد نقل عنه أبو منصور الثعالبى كثيراً [4] .

---

(١) راجع كتاب « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » للمقدسى - طبعة ليدن سنة ١٨٧٧ ص ٢٤١ . (٢) « ثمار القلوب » (٣) « نهاية الارب » .
(٤) ثمار القلوب ص ٤١١ وص ٤٣٨ .

أجل ! كثيراً ما يستعمل الجاحظ ألفاظاً دخيلة فى غضون مصنفاته وقد وقع جانب عظيم منها فى رسالته هذه فى التعريف بمسميات أجنبية ، وهو أمر متعارف جرت به عادة الكتّاب والمؤلفين فى عصر الدولة العباسية . فلطالما استعملوا اصطلاحات ومعربّات جلها فارسى المأخذ لقرب بلاد ايران من العراق ، ولقد تتبع صديقنا ساكن الجنان العلامة أحمد تيمور باشا أثر بعض المعربّات الواردة فى كتاب « نشوار المحاضرة » للتنوخى فعقد لشرحها فصولا ممتعة نشرها فى مجلة المجمع العلمى الدمشقية [١] .

وقد حاولنا شرح ما ورد ضمن هذه الرسالة من غريب الدخيل على قدر الاستطاعة والجهد ، وياحبذا لو توفق من أبناء العربية من يضع لنا معجماً لغوياً يوضح لنا به السبيل إلى فهم ألفاظ الدخيل والمصطلحات التى كانت مستعملة فى القرون الوسطى الاسلامية مثلما فعل المستعرب الهولاندى دوزى فى « مستدركه على المعاجم العربية » ، وهى أمنية طالما أبداها كل من يعانى استقراء تصانيف الدور العباسى .

أما الاصل المنقول عنه فهو مثبت فى ضمن مجموع خطى محفوظ بالمكتبة العمومية (مكتبة سوق العطارين) فى حاضرة تونس ، وهذا المجموع يحتوى على أذكار وأدعية وذكر بعض الغزوات ، ثم رسالة حافلة فى الخط وتصاريفه من تأليف الوزير العباسى الشهير أبى عبد الله على بن مقلة ، ثم كتاب « التبصر » هذا ، ثم شرح قصيدة أبى الفضل ابن النحوى التوزرى المعروفة بالمنفرجة من وضع الامام علاء الدين على بن جمال الدين البصرى الشافعى نزيل دمشق ختمه

---

(١) تفسير الالفاظ العباسية ، مجلة المجمع العلمى العربى ، جزء تشرين أول سنة ١٩٢٢ ص ٢٨٩ وما بعده .

خلال سنة ٨٧٣ هـ ، وفيما يظهر أن كامل المجموع بخط يد هذا الشارح وهو خط شامى معتاد تغلب عليه الصحة إلا فى الأعلام والدخيل والمعربات : وبالرغم من بحثى الشديد للوقوف على نسخة ثانية من كتاب (التبصر) فانى لم أظفر بها فاقتصرت على ايراد ماهو موجود هنا .

وقد بذلت جهدى فى اكساء هذا الأثر الجليل الثوب الذى يليق به إحياء لذكرى واضعه الخالد ، وهو سبحانه ولى التوفيق .

المهدية الفاطمية (تونس) : ح . ح . عبد الوهاب الصمادحى

شعبان ١٣٥٠

وفى الصفحة التالية يرى القارىء ذلك الأثر الجليل :

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري :

سألتَ أكرمك الله عن أوصاف ما يستظرف فى البلدان من الامتعة الرفيعة ، والأعلاق النفيسة ، والجواهر الثمينة المرتفعة القيمة ، ليكون ذلك مادةً لمن حنّكته التجارب ، وعوناً لمن ما رسته وجوه المكاسب والمطالب ، وسميته بكتاب «التبصر» والله ولى التوفيق .

زعم بعض المحصلين من الاوائل أن الموجود من كل شيء رخيص بوجدانه ، غال بفقدانه اذا مست الحاجة اليه .

وقالت الروم : اذا لم يرزق أحدكم فى أرض فليتحول الى غيرها .

وقالت الهند : ما من شيء كثر الا رخص ما خلا العقل فانه كلما كثر غلا[1] .

وقالت العجم : اذا لم تربحوا فى تجارة فاعتزلوا عنها الى غيرها ، واذا لم يرزق أحدكم بارض فليستبدل بها[2] .

---

(١) نسب أبو منصور الثعالبى هذه الكلمة إلى نصر بن سيار والى خراسان ، لكنه أورد لفظ « الادب » « بدل » « العقل » (كتاب الاعجاز والايجاز - طبعة مصر سنة ١٨٩٧ ص ٧٦) .

(٢) نقل أبو منصور الثعالبى جملا من الفصول التى أوردها الجاحظ هنا ولم يعزها لاحد ولاشك انه اقتبسها من هذا التأليف . قال الثعالبى فى فصل « التجار والسوقة » من كتابه « التمثيل والمحاضرة » : إذا لم تربحك تجارة فاعدل عنها إلى غيرها ، وإذا لم ترزق بأرض فاستبدل بها - وقال : الرابح فى كل سوق ، البائع لما ينفق فيها - وقال : شاركوا الذى أقبلت عليه الدنيا فانه اجلب للرزق - وقال : من اشترى مالا يحتاج اليه باع مالا بد منه ، ومن هنا يظهر أن ما نقله الثعالبى هو عين ما أورده الجاحظ بتغيير قليل فى اللفظ .

وقالت الفرس : الرابح فى كل سوق هو البائع لما ينفق فيها

وقالت العرب : اذا رأيتم الرجل قد أقبلت عليه الدنيا فالصقوا به فانه أجلب للرزق .

وقيل لبعض المياسير : بِمَ كثر مالك ؟ قال : ما بعت بنسيئة قط ، ولارددتُ ربحاً وان قل ، وما وصل الىَّ درهم الاصرفته فى غيرها [١] .

وكان يقال لاتشتروا ما ليس لكم اليه حاجة فيوشك ان تبيعوا مالا تستغنون عنه .

وزعم بعض الحكماء انه وجد فى وصية الفرس : أيها الانسان ليس بينك و بين بلد انت به نسب ، فخير البلدان ما وافقك [٢] ، وخير الدهر ما أصلحك ، وخير الناس من نفعك ، وخير الماء ما أرواك ، وخير الدواب ما حملك ، وخير الثياب ما سترك ، وخير التجارة ما اربحك ، وخير العلم ماهداك ، وأحسن الحسن ما استحسنته وان كان قبيحاً ؛ وكان يقال : خير الصناعة الخز [٣] وخير التجارة البز .

باب معرفة الذهب والفضة وامتحانهما

قال الحكيم [٤] : يستحب من الذهب سبيكه وغير سبيكه ، وان يكون

---

(١) كذا بالأصل وكأن المؤلف أعاد الضمير إلى التجارة ولذا جعله مؤنثاً

(٢) نقل الشريشى (شرح مقامات الحريرى ١ : ١٠٢) وكذا الصفدى (الغيث المنسجم شرح لامية العجم ٢ : ٧٦) هذه الجملة ولم يذكرا قائلها ، وكأن الجاحظ يشير إلى كلام عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ حين سئل عن كثرة أرباحه فقال : لم أرد من ربح قط ولو قل (راجع كتاب البخلاء للجاحظ ص ١٦٢ .)

(٣) بالأصل : الخرز ـ وأظنه تحريفاً من الناسخ والصواب : الخز ـ لتحصل القافية والمعنى . (٤) كثيراً ما يبتدىء الجاحظ الكلام بقوله : قال الحكيم ـ أو : قال ـ وفى ظنى أنه لايقصد بذلك إلا نفسه كما هو هنا ، يتضح ذلك لمن تتبع تآليفه لاسيما كتاب الحيوان .

كنار خامدة وشعاع مركوم وكبريت قانیء (١) وانما دامت دولته لانه لا تدحضه خبث الكير ولا يفسده مرّ الدهور ؛ وقيل انما صار الذهب ثميناً لقلة تغيره وازدياد نضارته وحسنه اذا عتق ولأن الاشياء تنقص عند المس والدفن ما خلا الذهب فانه لا ينقص البتة .

وخير الدنانير العتق الحر الى الحضرة ، وزعم بعص الاوائل انما يمتحن الدينار بلصوقه الشعر واللحية وصعوبة استمراره فيهما ، والنبهرج (٢) من الدنانير يعتبر بخفته وثقله .

وزعموا ان خير الذهب العقيان وخير الفضة اللجين ، ومذاق الفضة الصافية عذب ، ومذاق الزيوف مرٌّ صدیء ، والنبهرج من الدراهم ما لح جرسيّ الطنين ، والفضة صافية الطنين لايشوبها صَمَمٌ وهى تقطع العطش اذا مُسكت فى الفم .

باب مايعتبر من الجواهر النفيسة ومعرفتها وقيمتها

زعموا ان معرفة جوهر اللؤلؤ انك تجد مذاقته على ضربين : عذب المذاقة عُمانيٌّ ، وملح المذاقة قلزميٌّ كلاهما يرسب فى الماء ؛ والمعمول منه تجده مرّ المذاق مع دسومة فيه وهو خفيف الوزن يطفو على الماء .

وزعموا ان اللؤلؤة اذا كان فى باطنها دودة فانك تجدها حارّة المص واللمس

---

(١) هذا الوصف يشبه كثيراً ماذكره المؤلف فى كتابه الحيوان (ج٥ ص ٣٢) حيث قال : واذا وصفوا حمرة الذهب قالوا ما هو إلا نار ... وشعاع مركوم ... وهو الكبريت الأحمر - ومن هنا يستدل على أن الجاحظ كثيراً ما يعيد الكلام بعينه فى تضاعيف تصانيفه من غير أن يشعر بذلك ، وانه كان قليل المراجعة لما يكتب

(٢) النبهرج - معرب نبهره الفارسية ـ هو الدينار أو الدرهم المموه الزيف الردى (راجع كتاب شفاء الغليل للخفاجى وغيره) - وفى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٦٩) : دينار بهرج - وهو صحيح أيضاً .

فان ذلك للعلّة النفسانية ، واذا لم يكن بها دودة كانت باردة المص واللمس وامتحانها بذلك .

وزعم البحريون ان اللؤلؤ الكبار المتغير اللون تلف عليه الألية الطرية المشرحة وتؤخذ فى جوف عجين ويدخل التنور ويبالغ فى إحمائه فانه يصفو ويحسن ويعود اليه الماء ، واذا بخر بكافور كان ذلك ، واذا عولج بمخ العظم وبماء البطيخ فانه يصفو .

ومعرفة اللؤلؤ اللحمى الجوهرىّ من الصدفىّ العظمىّ هو ان الجوهرى يكون مستوى الصورة ليناً أملس ، والعظميّ يكون خشناً غير مستوى الهيكل .

وخير اللؤلؤ الصافى العُمانى المستوى الجسد الشديد التدحرج والاستواء ، واذا كانت حبتان متساويتين فى الشكل والصورة واللون والوزن كان أرفع لثمنهما ؛ والعُمانى أنفس وأرفع من القلزمى لأن العمانى عذب نقىّ صاف ، والقلزمى فيه ملوحة مع عيب كثير [1] .

واذا بلغت الحبة نصف مثقال سميت دُرّة ، والمدحرجة المعتدلة فى التدوّر اذا بلغ وزنها نصف مثقال ربما بلغت فى الثمن الف مثقال ذهباً ، والبيضية دون ذلك فى الثمن ، وأثمانها ترتفع على زيادة وزنها وتدحرجها ، واذا بلغ وزنها مثقالين ان شئت جعلت ثمنها عشرة آلاف دينار وان شئت مائة الف دينار ، والمدحرجة على هذا الوزن والصفة لا قيمة لها ، وهى فريدة ، وكلما كانت أصفى وأنقى كان

(١) على ذكر اللؤلؤ القلزمى قال أبو العباس احمد التيفاشى التونسى المتوفى سنة ٦٥١ فى كتابه « أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار » (خط بمكتبتى) : ... وكذلك ما يوجد من الجوهر ببحر القلزم وسائر بحار الحجاز فردى ولو كانت الدرة منه فى نهاية الكبر فانها لايكون لها طائل فى الثمن إذ ليس فيها شيء من أوصاف الدر النفيس .

أرفع لثمنها وأنفس ، والدرّة اليتيمة قلزمية ، زعموا ان وزنها ثلاثة مثاقيل ، والصغار من اللؤلؤ مرجانه (١) :

وخير الياقوت البهرمانى (٢) ثم الاحمر المورّد ، ثم الاصفر ، ثم الاسمانجونى (٣) وأدونه الابيض ؛ والياقوت من جبل سرنديب بالهند ، وتعرف اليواقيت من المعمولات بخصال ثلاث : برزانتها فى الوزن ، وبرودتها فى الفم عند المص ، وعمل المبرد فيها ، لأن الياقوت حجر ثقيل الوزن بارد فى الفم بطىء عمل المبرد فيه ؛ والمعمول منها يكون خفيف الوزن ، حار المص ، سريع المبرد فيه .

وخير الياقوت الصافى النقى المضىء من أى لون كان ، وارتفاع القيمة على قدر كبرها وصغرها (٤) والياقوت الأحمر البهرمانى الصافى اذا بلغ وزنه نصف مثقال ربما بلغ فى الثمن خمسة آلاف دينار ؛

وكان وزن فص الخاتم الذى يسمى « الجبل » مثقالين قوّم بمائة الف دينار

---

(١) قال التيفاشى فى كتابه المذكور : والمرجان فى لغة العرب صغار الدر وهو اللؤلؤ الدق ، واستشهد بأبيات لامرء القيس — وقيل أنه أول شعرقاله — منها :

فاعزل مرجانها جانباً وآخذ من درها المستجادا

ولفظ المرجان معرب عن اليونانية وأصله (Marginto) وفى اللاتينية (Margarita) وأطلق اسم المرجان فيما بعد على العروق الحمر التى تطلع من البحر ويتخذ منها الحلى والأعلاق والسبح (٢) البهرمان : فارسى معرب معناه أحمر اللون ، قال التيفاشى : والياقوت البهرمانى هوأحمر نقى الحمرة لاتشوبها شائبة ، والبهرمان اسم العصفر وبه سمى هذا الصنف من الياقوت (٣) الاسمانجونى : فارسى معرب مركب من كلمتين (آسمان) أى السماء و (كون) لون . ومعناه أبيض بزرقة كلون السماء (٤) كذا بالأصل ولعل ضمير المؤنث فى قوله : كبرها وصغيرها — عائد على ياقوتة .

واشتراه أبو جعفر المنصور بار بعين الف دينار [١] . والياقوت الاسمانجونى ربما بلغ الفصّ منه مائتى دينار .

وخير الزبرجد الشديد الخضرة ، الصافى الجوهر ؛ ومعرفة الزبرجد الفائق من المعمول المتخذ كمعرفة اليواقيت : برزانته و برودة مذاقته وعمل المبرد فيه على مهل ؛ والمعمول منه رخو خفيف الوزن ، حار فى المذاق ، يسرع فيه ؛

وزعموا ان خير الزبرجد الناضر الصافى النقى ، فاذا بلغ وزن قطعة منه نصف مثقال بلغ فى الثمن الفى مثقال ذهباً ، وارتفاع القيمة على مقدار كبره وصغره ؛

وكان فص الخاتم الذى يسمى (البحر) وزنه ثلاثة مثاقيل اشتراه أبو جعفر المنصور بثلاثين الف دينار وهو اليوم فى خزانة بعض الخلفاء .

وخير الفيروزج الشيربام [٢] الأخضر الاسمانجونى الصافى العتيق ، والفيروزج

---

(١) نقل أبو منصور الثعالبى من هذا التأليف فصولا وفقرات عديدة ببعض التصرف نسب بعضها إلى الجاحظ وغفل عن كثير منها ، فن ذلك قوله : زعم الجوهريون (؟) ان الياقوت لا يكون إلا من جبل سرنديب بالهند . وخيره الأحمر البهرمانى ، ثم الوردى . ثم الرمانى ، وإذا بلغ البهرمانى نصف مثقال كانت قيمته خمسة آلاف دينار ، وكان وزن الفص الذى يسمى (الجبل) مثقالين قوم بمائة الف دينار فاشتراة المنصور بأربعين الفاً . » (كتاب ثمار القلوب ص ٤٢٤) — ونقل الصلاح الصفدى من تأليف لشيخه شمس الدين بن ساعد الانصارى وسماه « بنخب الذخائر فى أحوال الجواهر » جملة مهمة جدا تتعلق بالياقوت وتكوينه وأصنافه وأثمانه جاء فى ضمنها : وكان فى خزانة الامير يمين الدولة محمود ياقوتة شكلها شكل حبة العنب وزنها اثنا عشر مثقالا قومت بعشرين الف دينار ، وكان للمعتصم العباسى فص يسمى «ورقة الآس» لانه كان على شكلها وزنها مثقالان إلا شعيرتين اشتراه بستين الف درهم (كتاب الغيث المنسجم ١ : ٨٣)

(٢) شيربام فارسى معرب مركب من لفظين ومعناه (لون اللبن) .

حجر لا يعمل المبرد فيه ولا يتغير فى النار والماء الحار ، وغاية ثمن فص فيروزج اذا بلغ وزنه نصف مثقال عشرون ديناراً .

وخير العقيق اليمانى الشديد الحمرة الذى يرى فى وجهه شبه الخطوط ، وكلما كان أصفى وأضوأ كان أجود فى الثمن .

وخير البيجاذى [١] الأحمر الشديد الحمرة الملتهب لونه التهاب النـار ، وكلما كان أصلب وأكبر كان أنفس وأثمن ، والمعمول منه رخو ، وامتحان جودته من رداءته انك اذا قربته من الريش احتمله ، وكلما كان أحمل للريش كان أجود ، وغاية ثمن فص بيجاذى فائق اذا بلغ وزنه نصف مثقال ثلاثون دينار .

والجوهر النفيس لا قيمة له وذلك لاتساع ضوئه وانتشار شعاعه بالليل .

والبلور يُختار لصفائه وعظمه ، وخير الزجاج البلورى الصافى الأبيض النقى ،

---

(١) البيجاذى : حجر كريم احمر اللون يشبه الياقوت فيه خاصية الكهرباء فى جذب التبن ، وأصله فى الفارسية (بيجاده) وهو اسم الكهرباء ، وقد عرب قديماً وورد فى أشعار العرب ، قال الفرزدق (الاغانى ط بولاق ج ١٩ ص ٢١) :

أغرك منها لوثة عربيـــة علت لونها إن البجادى أحمر

راجع معجم المجموعة الجغرافية العربية تأليف المستشرق دى خوى طبعة ليدن ص ١٨٤ (Indices, Glossarium - Bibl. Géogr. Arab. ,de de Goeje) وانظر ايضاً التعليق الجميل الذى وضعه صديقنا العلامة المحقق المغفور له احمد تيمور باشا على هذه الكلمة فى تفسيره للالفاظ العباسية (مجلة المجمع العلمى الدمشقية ج ٧ ص ٢٠٤ من سنة ١٣٣٩)

وقال ابن عبد ربه : ومدينة بلخ بخراسان بها معادن البجادى العتيق ، وهو جنس من الفصوص تسمية العامة البزادى (العقد الفريد ٣ : ٢٥٧) .

والفرعونى الفائق[١] . وخير الماس[٢] البلورى الصافى الأبيض النقى ، ثم الأحمر ، واذا بلغ وزنه نصف مثقال بلغ فى الثمن مائة دينار ، وكلما كان أكبر وأعظم كان أبلغ فى الثمن وأرفع .

باب معرفة الطيب والعطر والروائح الطيبة

زعموا ان خير العود الهندى المندلى[٣] الذى لا غش فيه ، وكلما كان أصلب فهو أجود وامتحان جودته بحدة أرجه وشدة رائحته ؛ وزعموا ان خير العود الهندى الثقيل الوزن الذى يرسب فى الماء ، وأدونه الخفيف الوزن الذى يطفو على رأس الماء ، والخفيف الوزن عندهم ميت لا روح فيه وهو ضعيف الرائحة ، والثقيل الوزن منه له ذكاء وقوة أرج ورائحة .

---

(١) ورد ذكر الزجاج الفرعونى فى كتاب (الحيوان) للجاحظ ج ٣ ص ١١٦

(٢) الماس : يونانى معرب وهو الديامنت وقد ورد ذكره فى الحديث الشريف (النهاية لابن الاثير ج ٤ ص ٧٩) — وقال التيفاشى : الماس نوعان : الزيتى والبلورى ، والزيتى أجودهما ، والبلورى أبيض شديد كلون البلور ، والزيتى مخالط بياضه صفرة كلون الزيت ، وهو شبيه بلون الزجاج الفرعونى (كتاب أزهار الأفكار — خط) .

(٣) المندلى : منسوب إلى « مندل » وهو بلد بالهند يجلب منه العود الذكى الشذا (راجع معجم البلدان لياقوت ـ لفظ مندل ـ وشفاء الغليل) ـ وقال أبو منصور الثعالبى وفى كتاب « العطر » (للجاحظ) : وخير العود الهندى المندلى ، وكلما كان أصلب فهو أجود وامتحان جودته اذا كانت فيه رطوبة ، ومن خصائصه ثبات رائحته فى الثوب اسبوعاً واكثر (ثمار القلوب ص ٤٢٣) .

وخير المسك التُّبَّتى (١) اليابس الفاتح وأرداه البُدّى ، وغش المسك من الآنك (٢) وجندَبادستر (٣) ودم الأخوين (٤) وسياه دارُوا (٥) وكلما خف وزنه وفاح فهو أجود .

---

(١) بالاصل : التبي وهو تحريف وصوابه : التبتى نسبة الى بلاد التبت ، وفى كتاب « الحيوان » للجاحظ (ج ٤ : ٤٦) ان المسك كان يجلب من التبت - وفى « المحاسن والاضداد » (باب محاسن الهدايا ص ١٧٩) : وكان مما تهديه ملوك الامم الى ملوك فارس طرائف ما فى بلدهم « فمن الهند الفيلة والسيوف والجلود ، ومن التبت المسك والحرير والاوانى ، ومن السند الطواويس والببغاء ، ومن الروم الديباج والبسط . » - ويؤيده مانقل الاصطخرى وابن حوقل حيث قالا : ولهم (أى أهل ما وراء النهر) من المسك الذى يجلب اليهم من التبت وخرخيز ماينقل إلى سائر الامصار فيفوق غيره من المسوك ثمناً وجودة (المسالك والممالك للاصطخرى طبعة ليدن سنة ١٨٧٠ ص ٢٨٠ و ٢٨٨ - والمسالك والممالك لابن حوقل طبعة ليدن سنة ١٨٧٢ ص ٣٢٧ و ٣٣٧) .

(٢) آنك : فارسى معرب وهوالرصاص ، وعند ابن البيطار : الرصاص ضربان أحدهما الرصاص الاسود وهو الآنك ، والآخر الرصاص القلعى وهو القصدير (جامع مفردات الادوية طبعة مصر ٢ : ١٤٠) .

(٣) جند بادستر : فارسى معرب وهو مثانة حيوان برى بحرى يكون فى الأنهار العظام يسمى القندر (وعند الأفرنج Castor) وخصاه هي الجند بادستر (الدميرى ٢ : ٢١٧ وابن البيطار ١ : ١٧١) .

(٤) دم الأخوين : قال ابن البيطار بالنقل عن أبى حنيفة الدينورى : هو صمغ أحمر لشجرة يؤتى به من سقطرى ، ثم قال : وهو الأيدع عند الأطباء ، ويقال له الشيان أيضا (جامع المفردات ١ : ٧٢ و ٢ : ٩٦) قلت : والمعروف أن دم الأخوين هو العندم عند قدماء العرب ، وقيل هو البقم .

(٤) سياه دارو : ويكتب أيضاً : سيادرو — وسيادروان ، وفى القانون لابن سينا سيادوان . فارسى معرب ، وهو صمغ الجوز الشامى (راجع كشف الرموز لابن حمدوش ط حجر بالجزائر ١٣٢١ ص ٩٩) .

وزعموا ان خير العنبر الأشهب الزابجى [1] ثم الأزرق ، ثم الأصفر ، وأدونه الا . . . . [هنا ورقة كاملة من الأصل بها ثلاثون سطراً تعطلت قراءتها لانخرام كتابتها واستيلاء الزاج على أحرفها بحيث لم يتيسر نقلها بأى وجه ولم يبق ظاهراً

---

(١) الزابجى : سمى القلقشندى من أنواع العنبر ستة أضرب أولها الشحرى ثم الزنجى (قلت : وهو لامحالة تحريف الزابجى أو الرابحى) وهو أجود العنبر وأفضله . . (صبح ٢ : ١١٧ و ١١٨) — وجاء فى تاج العروس : (والرباحى جنس من الكافور) منسوب إلى بلد كما قاله الجوهرى وصوبه بعضهم أو إلى ملك اسمه رباح اعتنى بذلك النوع من الكافور وأظهره (تاج ٢ : ١٤٠) — وفيه . ورباح موضع بالهند ينسب اليه الكافور ، وبسط بحثا طويلا فى الغلط الحاصل فى الصحاح للجوهرى إذ نسب تارة الرابحى إلى بلد بالهند وتارة إلى دويبة يجلب منها الزبد — وذكر ابن البيطار — فى مادة كافور وعنبر — أن الرباحى مشتق من اسم ملك هندى اسمه رابح (جامع المفردات ٢ : ٣٣٤) وقال داود الأنطاكى ويسمى الرياحى لتصاعده مع الريح ، وقيل الرباحى — بالموحدة — نسبة إلى رباح أحد ملوك الهند أول من عرفه (تذكرة — مادة كافور) — وقال دوزى فى مستدركه على المعاجم العربية : أن بعض المصنفين يسميه أيضا الزياحى Dozy, Suppl. aux diction. arabes, vol. I p. 499 ومما تقدم يتضح أن الاختلاف فى اسم الزابجى أو الرابحى قديم ولا يعرف على وجه التحقيق نسبته ، ولذا احترمنا هنا الصيغة الواردة بالاصل مع التنبيه عليه - ووقفنا اخيرا على فصل ممتع نشره العلامة المحقق الاب انستاس مارى الكرملى كشف فيه الغطاء عن معنى الرباح ووجه اشتقاقه وأثبت أن أصل اللفظ - الزابج - وهو اسم جزائر ماليسية (جاوه وسومطره وبرنيو) عند قدماء العرب - والنسبة اليه زابجى ، فحرفه النساخ والمؤلفون المتأخرون فقالوا الزابحى والرابجى وغير ذلك (راجع مجلة المجمع العلمى الدمشقية ص ٢٣٢ من سنة ١٣٣٩)

منها سوى ما هو مرسوم بالحمرة — فى السطر السابع عشر — وهو : باب معرفة الثياب وما يستجاد منها]

. . . . وخير الوشى [فى الثوب] السابرى (١) والكوفى ، والأبريسمى ، والمذهب المنسوج ثم الوشى الأسكندرانى الكتان البحت (٢) ثم المنسوج بالذهب ، ثم الوشى الغزلى ، ثم الذى لا ابريسم فيه ولا ذهب وهو اليمانى لانه يرتفع على هذه السبيل من الغزلى ، والابريسمى والكتان لايبلغ فى الثمن ما يبلغه اليمانى لأنه ربما بلغ الثوب الغزلى الف دينار .

---

(١) السابرى : نسبة إلى سابور ، وفى حديث حبيب بن أبى ثابت قال : رأيت على ابن عباس ثوبا سابريا استشف ما وراءه ، وكل رقيق عندهم سابرى والاصل فيه الدروع السابرية منسوبة إلى سابور (النهاية لابن الاثير ٢ : ١٥٢) - وفى التاج : والسابرى ثوب رقيق جدا . قال ذو الرمة :

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه   على عصويها سابرى مشبرق

ومنه المثل : عرض سابرى . أى رقيق جداً (تاج ٣ : ٢٥٢) — وقال أبو منصور الثعالبي . والسابرى ، وهو الرقيق الناعم من كل ثوب . والأصل فيه النسبة إلى نيسابور وعرب فقيل سابرى (ثمار القلوب ص ٤٢٩) .

(٢) نقل أبو منصور الثعالبي العبارة الآتية فى لفظ « كتان مصر » ولم يذكر عن أى تأليف للجاحظ نقل ، قال : قال الجاحظ : قد علم الناس أن القطن لخراسان وان الكتان لمصر ، ثم للناس فى ذلك فى تفاريق البلدان مالا يبلغ مقدار بعض بلاد هذين الموضعين ، وربما بلغت قيمة الحمل من دق مصر الذى من الكتان لاغير مائة الف درهم (ثمار القلوب ص ٤٢٠ — وراجع أيضاً كتاب « ما يعول عليه فى المضاف والمضاف اليه » للمحبي - خط بمكتبتى) .

وخير السِنجاب [١] القاقم [٢] ثم الظهور منه ، ثم الخزرى [٣] ثم الخوارزمى ، ثم الذى لاغش فيه من زغب الأرانب .

وخير الثعالب الأسود [٤] الخزرى الغليظ الشعر الذى لا يُغَشّ بصبغ ، ثم الأبيض ، ثم الأحمر المحصرى [٥] ثم الأحمر الخزرى ، ثم الخلنجى [٦] .

وخير القاقم أكثرها أذناباً : وخير السمور الصينى ، ثم الخزرى الشديد البياض مع شدة السواد الطويل الشعر .

---

(١) السنجاب : قال القلقشندى : حيوان أكبر من الفار يعيش فى الشجر العالى ، فيها يأوى ومنها يأكل ، وهو كثير ببلاد الافرنج والصقالبة ، ووبره فى غاية النعومة وجلده فى نهاية القوة ، ويتخذ منه الفراء النفيسة التى يلبسها الناس والرؤساء ، وأحسن ألوانه الأزرق (صبح الاعشى ٢ : ٥٠) أقول وهو المسمى باللاتينية Scuriolus وبالفرنسية Ecureuil .

(٢) القاقم (بقافين الثانية منهما مضمومة) - هو دويبة فى قدر الفار لها شعر أبيض ناعم ، ومنه يتخذ الفراء ، وهو أعز قيمة من السنجاب (صبح ٢ : ٤٩)

(٣) الخزرى : نسبة الى بحر الخزر وما كان حوله من البلاد .

(٤) قوله : خير الثعالب الاسود ، جاء فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ١٠٠) « وفى الثعلب جلده وهو كريم الوبر وليس فى الوبر أغلى من الثعلب الاسود وهو ضروب فمنه الأبيض الذى لايفصل بينه وبين الفنك ، ومنه الخلنجى وهو الاعم » .

(٥) كذا بالاصل وأظنه غلطاً من الناسخ وصوابه « الممصرى » أى المصبوغ بالمصرة وهو العصفر ، وقال ابن سيده : والثوب الممصر هو المصبوغ بالطين الاحمر أو بحمرة طفيفة (المخصص ٤ : ٩٤) .

(٦) الخلنجى : المقصود به الذى يشبه لونه خشب الخلنج وهو شجر معروف (ابن البيطار ٢ : ٦٨) وقد عرف أبو الوليد المراكشى اللون الخلنجى بقوله : مخطط بسواد ودخنة (راجع مستدرك المعاجم العربية لدوزى ج ١ ص ٤٠٠)

وخير الفرش وأرفعه ثمناً وأجوده المرعِزَّى [١] القرمزىّ الأرمنى المنير ، ثم الخز الرقم ، ثم الخز القُطوع [٢] ثم الديباج على عمل الخسروانى [٣] الرومى ، ثم الخز المدبج على الميسانىّ ، ثم البزيون [٤] ؛ ومهما كان من هذه الضروب منسوجاً بالذهب فهو اجود وأبلغ فى الثمن ، وقد تكون هذه الضروب كلها منسوجة بالذهب إلاّ الأرمنى والميسانى والبزيون .

وخير البزيون المسكىّ الدقيق النسج ، ثم المخطط ، ثم المفلّس [٥] ثم الساذج ، ثم المعيّن [٦] ثم المنقط ؛ والغفارة المسكية إذا كانت رقيقة العمل نقية ربما بلغت فى الثمن خمسين ديناراً .

---

(١) المرعزى والمرعزاء - بكسر الميم - اذا خففت مددت واذا شددت قصرت وأصله بالنبطية (مرعزا) وقد تكلمت العرب به قديماً ، قال جرير من قصيدة يهجو بها التيم :

كساك الحنظلى كساء صوف ومرعزى فانت به تفيـــد

أى تتبختر عجباً (راجع المعرب للجواليقى ص ١٣٧)

(٢) القطوع جمع قطع وهو ضرب من الوشى فى الثياب (المخصص لابن سيده)

(٣) الخسروانى ، نوع من نسج الحرير الرقيق الحسن الصنعة منسوب إلى عظماء الأكاسرة ، وهو فارسى معرب (المعرب للجواليقى ص ٦٠ وشفاء الغليل للخفاجى).

(٤) البزيون كعصفور ، السندس ، وقال ابن برى : هو رقيق الديباج (تاج العروس ٩ : ١٣٩) .

(٥) وبالاصل ، المقلس ، وهو تحريف بين ، والمفلس بمعنى المختم والمزركش على هيئة الفلوس كما يقال ثوب مدنر ومدرهم أى موشى على صورة الدنانير والدراهم.

(٦) المعين ، ثوب فى وشيه ترابيع صغار شبه باعين الوحش (المخصص ٤ : ٦٧)

وأبو قَلَمون [١] من الزلالىّ [٢] الحمروانىّ الرومى القرمزى على خطوط مختلفة البنفسجى فى الأحمر والأخضر ، وزعموا أنه يتلوّن ألواناً بارتفاع النهار ووهج الشمس ، والقيمة مرتفعة منه جداً .

وخير الأكسية من الصوف المصرية ، ثم الخوزية الفارسية ، والمرعزّى فى المرعِزّى الفارسية الشيرازية ، ثم الاصفهانية المرعِزّى فى الابريسم الفسوية ، ثم الطبرية [٣] ، ثم الصوف فى الصوف .

وخير الطيالسة الرويانية الطبرية ، ثم الآملية [٤] ثم المصرية ، ثم

---

(١) ابو قلمون ، عرفه مرتضى الزبيدى بقوله : ثوب رومى يتلون ألواناً للعيون نقله الجوهرى ، وقال الأزهرى : يتراءى إذا أشرقت عليه الشمس بألوان شتى ، قال : ولا أدرى لم قيل له ذلك ، وقد يشبه به الدهر والروض وزمن الربيع (تاج العروس ٩ : ٣١) — أقول : لفظ أبو قلمون يونانى معرب وهو فى الأصل Abokalamon والنسيج المسمى أبو قلمون فى المشرق وهو المعروف فى الديار التونسية بعنق الحمام .

(٢) الزلية ـ بالكسر ـ البساط ج زلالى كما فى لسان العرب والعباب . وفى مستدرك التاج (مادة زلل ج ٧ : ٣٥٩) والزلال الصافى من كل شىء ، قال ذو الرمة :

كأن جلودهن مموهات على أبشارها ذهب زلال

فكأن المقصود هنا من الزلالى الصافى اللون .

(٣) على ذكر الأكسية الطبرية نقل الجاحظ : أن قيمة الكساء الأبيض الطبرى فى عصره يساوى اربعمائة درهم والقومسى منها مائة درهم (كتاب الحيوان ٣ : ٨)

(٤) قوله : الطيالسة الرويانية نسبة الى الرويان وهى مدينة من نواحى قزوين (الاصطخرى ص ٢٠٦ ـ وابن حوقل ٢٦٩) ـ وكذا الآملية نسبة الى آمل وهما مدينتان بهذا الاسم : الاولى عاصمة طبرستان ـ وهى المقصودة هنا ـ مشهورة بضأنها وصوفها ومنسوجاتها (المقدسى ص ٣٥٥ وابن حوقل ٢٧١) والثانية مدينة فى غربى جيحون فى سمت بخارى بينها وبين جيحون نحو ميل .

القُومسية [١] . وخير اللبود الصينية ، ثم المغربية الحمر ، ثم الطالقانية البيض [٢] ثم الأرمنية ، ثم الخراسانية .

وخير النمور البربرى الموشح الشديد بياضه المشبَّع سواده الطويل الوشى السابانى [٣] . وأظرف النمور الذى يكون فى وسط سواده نقطة سوداء صغيرة بينة ؛ و إن كان سواده متصلاً بعضه ببعض بشظية من سواد خفيفة كان أظرف له ، و إذا كانت فيه حمرة مع بياض يقَق وسواد حالك كان أحسن وأبلغ فى الثمن ؛ ونمور البربر صغار ومقدار الجلد منها مايغشى سرجاً مفرداً ، ومنتهى ثمن الجلد منها خمسون ديناراً ، وأما المغربية والهندية فهما أوسع وأكبر ولا يبلغان فى الثمن ولا

---

(١) القومسية . نسبة الى قومس من أكبر مدائن الديلم ، قال ابن حوقل : ويرتفع من قومس أكسية معروفة تحمل إلى الأمصار وهى فاشية فى جميع الارض (المسالك والممالك ص ٢٧١) - وقال المقدسى : أما قومس فلهم المناديل البيض من القطن المعلمة صغار وكبار وسواذج ومحشاة ربما يبلغ المنديل منها الفى درهم ، ولهم أيضاً أكسية وطيالسة وثياب رقاق من الصوف (كتاب أحسن التقاسيم ص ٣٦٧) .

(٢) نقل أبو منصور الثعالبى هذه العبارة من هذا التأليف وعزاها إلى صاحبها فقال : وذكر الجاحظ فى كتاب « التبصر بالتجارة » ان خير اللبود الصينية ثم المغربية الحمر ثم الطالقانية البيض » (ثمار القلوب ص ٤٣٣) . وتبعه النويرى فنقل عين العبارة المتقدمة عن الجاحظ لكنه جعل اسم الكتاب « النظر فى التجارة » (نهاية الارب ج ١ ص ٣٦٧) وهو تحريف واضح لتشابه مابين لفظ « التبصر » و « النظر » — فليتنبه .

(٣) السابانى ، نسبة إلى السابان ، وهو فى الفارسية الطائر المعروف بالزرزور الذى ريشه منقط بنقط بيض ونقط سود . وبه شبه الجاحظ هنا المختار من جلد من جلد النمور البربرية ، كان أقرب اليه أن يقول فى نعته زرزورى أى فى لون الزرزور وهو عربى صريح .

يرتفعان ، وخير النمور الوشى ، وخير القطن الأبيض اللين الضمار الحبوب اللطيف البياض الصافى .

وزعم أن القرمز حشيشة تكون فى أصلها دودة حمراء تنبتُ فى ثلاثة مواضع من الأرض (١) : فى ناحية المغرب بأرض الأندلس ، وفى رستاق يقال له تارم (٢) وفى أرض فارس ، ولا يعرف هذه الحشيشة وأماكنها إلا فرقة من اليهود يتولون قلعها كل سنة فى ماه اسفندارمذ (٣) فتيبس تلك الدودة ويصبغ بها الابريسم والصوف وغير ذلك ؛ وخير مايصبغ فى الأماكن بأرض واسط .

(١) عرف الرحالة ابن حوقل القرمز الارمنى بقوله : وهو صبغ أحمر يصبغ منه المرعزى والصوف ، وأصله من دود ينسج على نفسه مثل دود القز إذا نسجت على نفسها القز (المسالك والممالك ص ٢٤٤) .

(٢) تارم ، من مدائن فارس من ناحية شيراز بينهما ٨٢ فرسخاً (الاصطخرى ص ١٣١ وما بعدها - وابن حوقل ص ٢٠١ و ٢٠٣ و ٢٢٦ — والمقدسى ٤٢٣ و ٤٢٦) .

(٣) ماه اسفندار مذ ، هو اسم الشهر الثانى عشر من السنة الشمسية عند الفرس ، واليوم الخامس منه هو « اسفندارمذروز » كان من الأعياد الكبيرة عند قدماء الفرس وفيه كانوا يلتقطون الاعشاب من الجبال والاودية ويتخذون الادهان ويهيئون البخور والدخن ، وفيه تكتب الرقاع لدفع الهوام والحشرات فيكتبون من ظهور الفجر إلى طلوع الشمس رقية على كواغذ مربعة ويلصقون منها على الجدران (راجع كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيرونى طبعة ليبسيج سنة ١٨٧٨ ص ٢٢٩ — وعنه نقل القزوينى فى كتابه « عجائب المخلوقات » طبع بهامش حياة الحيوان ص ١٢٨ وما بعدها)

أقول : وهذه العادة الفارسية القديمة لم تزل متبعة فى البلاد التونسية من كتب رقاع صغار بها آية السموم من القرآن وذلك اليوم الأول من شهر مايو الأعجمى ثم يلصقونها بمدخل البيوت دفعاً للعقارب والحشرات السامة . قلت : وكذلك فى مدينة حلب

وزعموا أن البَلسان شجر بأرض مصر يُشرطُ فى أيام الربيع فيخرج منه دهن البلسان فيؤخذ منه ، وهو مفقود فى الأرض كلها ماخلا مصر [١] .

وحبّ الزَّلَم [٢] ينبت بأرض شهرزور ، وزعموا أنه جيد للجماع ؛ والقرماز شجر بالفارسية بنجكشت (؟) قلما يوجد إلا ومعه الدفلى ، وهو نبت يستخير بالدفلى النابتة عنده يقال له فَازَهر [٣] فلذلك غرس معه فى موضع يكون به ، وقيل حُمِلا جميعاً من الروم وله قصة عجيبة طويلة .

باب يجلب من البلدان من طرائف السلع والأمتعة والجوارى والأحجار وغير ذلك

يُجلب من الهند : الببور والنمور والفيلة وجلود النمور والياقوت الأحمر والصندل

---

(١) البلسان المصرى ، قال الاصطخرى : وحوالى الفسطاط زرع ينبت مثل القضبان يسمى البلسم يتخذ منه دهن البلسان لا يعرف بمكان فى الدنيا إلا هناك (الاصطخرى ٥٤) وجعله ابن حوقل فى عين شمس خاصة (المسالك والممالك ص ١٠٦) .

(٢) حب الزلم ، عرفه ابن البيطار بقوله : هو حب دسم مفرطح اكبر من الحمص قليلا أصفر الظاهر أبيض الباطن طيب الطعم لذيذ المذاق ويجلب من بلاد البربر ، وينبت فى ناحية شهرزور ، وقد ينبت منه شيء بصعيد مصر يسمونه بالسقيط (جامع مفردات الادوية ٢ : ٤ و١٦٦) ــ قلت وهو المعروف عندنا فى تونس بحب عزيز .

(٣) المشهور ان الفازهر حجر كريم لانبات كما ورد هنا ، وانه صنفان حيوانى ومعدنى وهو عند الافرنج Bézoar واسمه فارسى معرب وأصله پازهر ومعناه « منفى السم » ــ وقد ذكر معدنه وأوصافه وخواصه ومنافعه جماعة من علماء الأحجار كابن البيطار فى مفرداته والتيفاشى فى كتاب أزهار الافكار والقزوينى فى عجائبه وسواهم كثير . فليراجع هنالك .

الأبيض والأبنوس وجوز الهند [١] .

ويجلب من الصين : الفرند والحرير والغضائر [٢] والكاغد والمداد والطواويس والبراذين الفرّهُ والسروج واللّبود والدارصيني وادارند [٣] الخالص ، ويجلب من الروم : أواني الفضة والذهب والدنانير الخالصة القيسرانية والعقاقير والبريون والابرون والديباج والبراذين الفره والجواري وطرائف الشَّبه والأقفال المحكمة واللورا [٤] ومهندسوا الماء وعلماء الحراثة والاكارة و بناء الرخام والخصيان .

---

(١) قال أبو منصور الثعالبي : ولبلاد الهند من الخصائص مالم يكن لغيرها فمنها الفيل والكركدن والببر والببغاء والطاؤوس والدجاج الهندى والياقوت الاحمر والصندل الابيض والعاج والساج والتوتيا والقرنفل والسنبل والفلفل وغيرها من العقاقير (ثمار القلوب ٤٢٣) .

(٢) الغضائر ج غضارة هي القصعة أو الصحن الكبير ذو ساق يتخذ من خزف ، وارفع الغضائر مايؤتى به من الصين كما نص عليه الجاحظ هنا لاشتهارها وحسن صنعتها وجودة طليها وجمال رونقها ، وقال شمر : الغضار الطين الأحمر نفسه ومنه يتخذ الخزف الذى يسمى الغضار . وقال ابن دريد : فاما الغضارة التي تستعمل فلا أحسبها عربية محضة (تاج العروس وغيره) .

(٣) لفظ « أدارند » هنا لامعنى له ؛ وأظنه تحريفاً من الناسخ ، ويظهر أنه قصد الراوند . قال مرتضى : الروند الصيني وهو أنواع أربعة أعلاها الصيني ودونه الخراساني ويعرف بروند الدواب تستعمله البياطرة وهو خشب أسود ، والأطباء يزيدونها الفاً فيقولون « راوند » ولفظه ليس بعربي محض (تاج ٢ : ٣٥٩ و ٣٦٠ مادة راد)

(٤) كذا بالأصل ولم أر لها معنى ، ولاشك أن الناسخ حرف فلم يأت باللفظ على أصله أللهم الا أن يكون اللاذ واللاذة وهى ثياب من حرير تنسج بالصين تسميها العرب والعجم اللاذ (المخصص ٤ : ٦٨) وفى القاموس : اللاذة ثوب حرير احمر ينسج بالصين .

ومن أرض العرب : الخيل العِراب والنعام والنجائب والقانة [١] والأَدَم [٢] .

ومن البربر ونواحي المغرب : النمور والقرظ [٣] واللبود والبزاة السود .

ومن اليمن : البرود والأَدَم والزرافات والجواميس [٤] والعقيق والكُنْدُر [٥] والخِطْر [٦] والوَرْس [٧] .

ومن مصر : الحمر الهماليج [٨] والثياب الرقاق والقراطيس ودهن البلسان ، ومن المعدن الزبرجد الفائق .

---

(١) القانة وجمعها القان ، هو شجر جبلي ينبت بجزيرة العرب . زاد الأزهري ينبت في جبال تهامة ويتخذ منه القسي (لسان العرب) .

(٢) الأدم ج أديم ، هو الجلد المدبوغ اذا كان عليه شعره أو صوفه أو وبره .

(٣) با لاصل القرض ، وهو تحريف واضح وصوابه القرظ ، وهو ورق السلم تدبغ به الجلود ، وقيل هو السنط يعتصر منه الاقاقيا وهو مما يتداوى به (المعاجم اللغوية) .

(٤) كذا بالأصل ولا أخالها إلا الجواشن ج جوشن ، وهو الدرع من حديد . وقال ابن سيده زرد يلبسه الصدر والحيزوم (المحكم ، خط بالمكتبة الزيتونية في تونس) .

(٥) الكندر ضرب من العلك عن ابن سيده وهو اللبان عند الأطباء وغيرهم (تاج ٣ : ٥٢٩) .

(٦) الخطر — بالكسر — نبات يجعل ورقه في الخضاب الاسود يختضب به ، وقال أبو حنيفة هو شبيه بالكتم وكثيراً ماينبت معه واحدته خطرة (تاج ٣ : ١٨٣)

(٧) قال الثعالبي ومن خصائص اليمن الزرافة ، وكان الاصمعي يقول أربعة قد ملأت الدنيا ولاتكون إلا باليمن الورس والكندر والخطي والعقيق (كتاب ثمار القلوب ٤٢٥) وقد جعل الناسخ هنا الخطي — وهي الرمح — مكان الخطر ، فليتنبه .

(٨) على ذكر الحمير المصرية قال الاصطخري : وبمصر بغال وحمير لايعرف في

ومن الخزر : العبيد والإماء والدروع والبيضات والمغافر .

ومن أرض خوارزم : المسك والقاقم والسمور والسنجاب والفنك وقصب الطيب.

ومن سمرقند : الكاغد [1] .

شيء من بلاد الاسلام أحسن ولا أثمن منها ، ولهم من وراء أسوان حمير صغار فى مقدار الكباش معلمة تشبه البغال المعلمة ، اذا خرجت من مواضعها لم تعش ، ولهم حمير بقال لها (السملاقية) بأرض الصعيد زعموا أن أحد أبويها من الوحشى والآخر من الأهلى فهى أسير تلك الحمير (راجع مسالك الممالك ص ٥٥ وكذا ابن حوقل ص ١٠٧) .

(١) كاغد وكاغد وكاغذ ، لفظ صينى معرب دخل العربية بطريق الفارسى ، ولم يكن الكاغد معروفا بالشرق فى أول عهد الاسلام وإنما كانت الكتابة على القراطيس المتخذة من البردى المصرى أو على الرقوق ، وأول ظهور الكاغد فى الاسلام كان فى سمرقند صنعه هنالك أسارى من الصين أسرهم الأمير زياد بن صالح فى وقعة اطلخ سنة ١٣٤ للهجرة فاتخذوه له من خرق الكتان والقنب على ما كان جار فى بلادهم فقلدهم الناس من ذلك الحين وكثر صنعه فى بقاع متعددة من بلاد الاسلام ، ومنها دخل الى أوربا واشتهر — قال أبو منصور الثعالبى : كواغد سمرقند هى من خصائصها التى عطلت قراطيس مصر والجلود التى كان الأوائل يكتبون فيها لانها أنعم وأحسن وأرفق ، ولا تكون الا بسمرقند والصين ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجراً لاهل سمرقند فعم خبرها والارتفاق بها الى جميع البلدان فى الآفاق (ثمار القلوب ص ٤٣١) — وذكر المقريزى فى خططه ان جعفر البرمكى هو أول من استبدل الكتابة على القراطيس بالكاغد فى الدواوين (النويرى ١ : ٣٦٧) .

أقول : ومن أشهر الأصناف التى كانت تصنع قديماً فى العالم الاسلامى : الكاغد الفرعونى تقليداً للقراطيس المصرية المستعملة الى حدود ذلك الوقت ، والكاغد السليمانى نسبة الى سليمان بن رشيد ناظر بيت المال بخراسان على عهد الخليفة هارون الرشيد ، والجعفري منسوب الى جعفر البرمكي الوزير العباسي ، والطلحي منسوب

ومن بلخ ونواحيها : العنب الطيب والفوشنة [١] .

ومن بوشنج : الكبر المربى .

ومن مرو : الضرابون بالبرابط والبرابط الجياد والطنافس والثياب المروية [٢] .

ومن جرجان : العناب والتدرّج وحب الرمان الجيد واليرمق [٣] اللين

الى طلحة بن طاهر ثانى امراء بنى طاهر ، والنوحى نسبة الى الامير نوح الاول من بنى ساسان ، وسوى ذلك كثير ؛ وقدشاعت الوراقة فى البلاد العربية وخصصت بدور صناعة فى العراق واليمن وفارس والشام ومصر والمغرب — لا سيما فى القيروان والمهدية — وفى الاندلس خصوصاً بمدينة شاطبة (Xativa) وغيرها (انظر كتاب الفهرست لابن النديم ص ٢١ وصبح الاعشى ١ : ٤٧٤ و ٤٧٦) .

(١) الفوشنة ، ويسميها أبو بكر بن الفقيه الهمذانى (الغوشنة) (كتاب البلدان ص ٢٥٥) ولم نهتد الى معرفة ماهيتها . قلت : وهى معروفة الآن بالوشنة .

(٢) ثياب مرو ، قال الثعالبي : كانت العرب تسمى كل ثوب صفيق يحمل من خراسان المروى وكل ثوب رقيق يجلب منها الشاهجانى ، لان مرو عندهم أم خراسان ، ويقال لها مرو الشاهجان ، وقد بقى إلى الان اسم الشاهجان على الثياب الرقيقة ، ومما تختص به مرو الثياب (الملحم) (ثمار القلوب ص ٤٣١) - ومن ينسب إلى مرو من الرجال يقال له مروزى ومن الثياب مروى (العقد الفريد ٣ : ٢٥٧) . أقول : والمتعارف هو أن النسبة إلى مرو الروز : مروزى ، وإلى مرو الشاهجان : مروى ، للتفريق بين المدينتين .

(٣) لم نقف على معنى للفظ (اليرمق) وكأنه تحريف (النرمق) بالفتح ، فارسى معرب (نرمه) وهو اللين الناعم من كل شيء ، وأنشد الليث لرؤبة يصف شبابه :

اجر خزاً خطلا ونرمقا ان لريعان الشباب عتهقا

(تاج ٧ : ٧٥) — ويمكن أن يكون ايضاً (يلمق) ج يلامق وهو ضرب من الفراء المبطنة .

والابريسم الجيد[١] .

ومن آمد : الثياب الموشية والمناديل والمقارم[٢] الرقاق والطيالسة من الصوف .

ومن دباوند[٣] : نصول السهام .

ومن الري : الخوخ والزئبق واليرمق والاسلحة والثياب الرقاق والامشاط

---

(١) قال الاصطخري ، ويرتفع من جرجان من الابريسم شيء كثير ، وابريسم طبرستان يحمل بزر دوده من جرجان ولا يرتفع من بزر طبرستان ابريسم ، وبجرجان الثلج والنخيل وفواكه الصرود والجروم من التين والزيتون وسائر الفواكه (الاصطخري ص ٢١٣ وابن حوقل ص ٢٧٣) — وقال المقدسي ، ولاهل جرجان المقانع القزيات تحمل إلى اليمن والعناب ، ولهم ديباج دون (أحسن التقاسيم ص ٣٦٧) .

(٢) المقارم ج مقرمة وهي الستر ، وعن ابن الاعرابي هي المحبس نفسه يقرم به الفراش قال : وهو ثوب من صوف فيه ألوان من عهون فاذا خيط فصار كأنه بيت فهو كلة ، وقد تزين المقارم في أطرافها بالرجائز وهي نسيجة حمراء عرضها ثلاث أصابع وأربع (المخصص ٤ : ٧٥) أقول : وقد أخذ الافرنج لفظ مقرمة عن اللغة العربية واطلقوه على نوع من الطرز يسمونه Macramé .

(٣) دباوند — كذا بالأصل وهو عندي تحريف من الناسخ وصوابه (دنباوند) وهو جبل عال بناحية كرمان ، قال ابن الفقيه : وبكرمان مدينة يقال لها (دمندان) وهي مدينة كبيرة واسعة وبها اكثر معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والنوشاذر والصفر ومعدنه بجبل يقال له (دنباوند) جبل مرتفع شاهق في الهواء ارتفاعه ثلاث فراسخ (كتاب البلدان ٢٠٦) .

والقلانس الملكية والقسيات[1] الكتان والرمان[2] .

ومن اصفهان : الشهد والعسل والسفرجل والكمثرى الصينى والتفاح والملح والزعفران والاشنان والاسفيذاج[3] والكحل والسرُر المطبقة والأثواب الجياد والشراب من الفواكه[4]

ومن قومس : الفؤوس والأمساح والجتر[5] والطيالسة من الصوف .

ومن كرمان : النيلج والكمون .

ومن الجور : الجوارشن[6] .

---

(١) بالأصل : العسيات ، وعندى أنها القسيات ، نوع من الثياب كانت تجلب أولا من قس بمصر ثم أطلق الاسم على غيرها ، وقد ورد ذكرها فى الحديث الشريف (راجع النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير) وقال ابن سيده : الثياب القسية تنسب إلى قس وهو موضع وهى ثياب فيها حرير تجلب من نحو مصر وقد نهى عن لبسها (المخصص ٤ : ٧٢) .

(٢) قال الثعالبى وكان يحمل إلى السلطان مع خراج الرى — وهو اثنا عشر الف الف درهم — من الرمان مائة الف ومن الخوخ المقدد مائة الف رطل (ثمار القلوب ٤٢٨) .

(٣) الاسفيذاج ، فارسى معرب وهو نوع من الطلاء أبيض اللون شارقه ويسميه الافرنج Blanc de ceruse وهو المعروف فى تونس بالباروق ، وقد أطال ابن البيطار فى ذكر صنعه وتحضيره فليراجع (جامع المفردات ١ : ٣١) .

(٤) قال الثعالبى وكان يحمل من اصبهان إلى حضرة السلطان كل سنة مع خراجها — وهو واحد وعشرون الف الف درهم — قدر كبير من الكحل ومن العسل الف الف رطل ومن الشمع عشرون الف رطل ، وكحلها موصوف بالجودة والزعفران بها كثير (ثمار القلوب ٤٢٧) .

(٥) الجتر ، فارسى معرب وهى المظلة تتخذ للوقاية من الشمس .

(٦) كذا بالأصل والأقرب أن تكون الجواشن ج جوشن وهى الدروع وقد

و بزر قطونا [١] .

ومن بَرْذَعَة : البغال الفُرْه [٢] .

ومن نصيبين : الرصاص .

ومن فارس : الثياب الكتان التوّزى والسابرىّ وماء الورد [٣] ودهن النَّيْلوفر ودهن الياسمين والأشربة .

ومن فَسَا : الفستق وأصناف الفواكه وطرائف الثمر والزجاج .

ومن عُمان وسواحل البحر : اللؤلؤ .

ومن ميسان : الأنماط والوسائد .

ومن الأهواز : ونواحيها السكر والديباج الخز [٤] .

ذكرها الجاحظ فى « المحاسن والأضداد » (فصل محاسن الهدايا) .

(١) بزر قطونا ، نبت معروف وهو صنفان شتوى وصيفى وأنفع ما فيه بزره ، وهو الاسفيون بالفارسية وفى اليونانية فسيلون Psyllium (راجع المختصر الفارسى للصقلى ، والمعتمد فى الأدوية لابن رسولا طبع مصر ص ١٦ ، وكشف الرموز للجزائرى وغير ذلك) .

(٢) قال الاصطخرى ويرتفع من نواحى برذعة بغال تجلب إلى الآفاق (المسالك ١٩٠) وقال ابن حوقل ويجلب منها من البغال الجياد الموصوفة بالنجابة والصحة والجلد والصبر إلى خراسان والعراق والشام وغير ذلك مايستغنى بشهرته عن ذكره (ابن حوقل ٢٤٨) .

(٣) قال الثعالبى جور من كور فارس مخصوصة بالورد الذى لا أطيب منه فى سائر البلاد يضرب به المثل فى الطيب وهو مجلوب إلى أقاصى المشرق والمغرب . . . وكان يحمل من فارس إلى الخلفاء كل عام مع خراجها من ماء الورد سبعة وعشرون الف قارورة (ثمار القلوب ٤٢٧ - وراجع أيضا الاصطخرى ١٥٢ وابن حوقل ٢١٣ والمقدسى ٤٤٣) .

(٤) السكر من خواص الأهواز ومفاخرها ومتاجرها ، ولا يكون الا بها على

... والصنَّاجات والرقَّاصات [١] .... وأنواع التمر والدبس والقند [٢] .
ومن السوس : الأترج ودهن البنفسج والشاه سبرم [٣] والجِلال والبراذع .
ومن الموصل : الستور والمسوح [٤] والدرَّاج والسُّمانَى .

كثرة قصب السكر فى سائر النواحى ، والمثل مضروب بسكر الأهواز كما قال أبو الطيب المتنبى :

تقضم الجمر والحديد الأعادى　　دونه قضم سكر الأهواز

وكان يحمل إلى الخلفاء كل عام مع خراج الأهواز ـ وهو خمسة وعشرون الف درهم ـ ثلاثون الف رطل من السكر ؛ ومما ينسب إلى الأهواز من النفائس ديباج تستر وخز السوس ، قال كشاجم يصف الروض :

كأن الذى دبجت تستر　　وطرزت السوس فيه نسر

(ثمار القلوب ٤٢٦) .

(١) حصل هنا ترهل عطل قراءة بعض الكلمات . أما لفظ « الصناجات » الواردة بالأصل فأظنها تحريفا من الناسخ ولاأخالها إلا « النصاحات » ، وهى الجلود واحدتها نصاحة (راجع المخصص ٤ : ١٠١) ـ وكذا قوله « الرقاصات » فهى عندى « الطراحات » ج طراحة وهى مقاعد صغيرة مربعة تطرح فى البيوت

(٢) القند والقندة ، معرب « كند » وهو عصارة أوعسل قصب السكر إذاجمد وهو المعروف عندالأطباءبسكر النبات ويسميه الافرنج Sucre candi أى سكر مربى

(٣) شاه سبرم ، ويقال أيضا شاهسفرم وشاهشفرم ، نوع من الريحان كان يسمى الريحان السلطانى والحبق الكرمانى . واللفظ فارسى معرب « شاه سيرغم » وهو مما عرب قديماً لوقوعه فى شعر الأعشى (شفاء الغليل وتاج العروس ٨ : ٣٦١ ـ وكتاب المعتمد لابن رسولا ص ١٧٨ وغير ذلك) .

(٤) المسوح ج مسح . عن ابن سيده كساء مخطط يكون فى البيت يستتر به ويفترش (المخصص ٤ : ٨٠) ولا يخفى أن منسوجات الموصل كانت لها من قدم

ومن حلوان : الرمان والتين والكامخ [1] .

ومن أرمينية واذربيجان : اللبود ٠٠٠٠ والبراذع والفرش والبسط الرقاق والتكك والصوف [2] .

باب ما يختار من البزاة و الشواهين والبواشق والصقور

وغير ذلك من جوارح الطير

خير البزاة البيض ما يقع بناحية الترك الى جيلان ، ثم السود الغرابيــة التى

الزمان شهرة كبيرة فى الشرق والغرب حتى أن الامم الأفرنجية أطلقت عليها اسم Mousseline تذكيراً لأصل موردها .

(١) الكامخ ، فارسى معرب وأصله « كامه » ويجمع على كواميخ ، قال الجواليق الكامخ الذى يؤتدم به (كتاب المعرب) وقال مرتضى وغيره فى شرح الكامخ ومنهم من خصه بالمخللات Hors d' œuvres التى تستعمل لتشهى الطعام (تاج ٢ : ٢٧٦) وكذا شفاء الغليل ـ أقول والمعنى الأخير هو المقصود هنا ويؤيده ماحكاه الجاحظ نفسه فى البيان والتبيين (ج ٣ ص ١٩١ من طبعة مصر سنة ١٣٣٢) .

(٢) قال ابن حوقل عند ذكره أرمينية واذربيجان ، وبهذه البلاد وفى أضعافها من التجارات والجالب وأنواع المطالب من الدواب والأغنام والثياب المجلوبة إلى النواحي والأقطار ، معروفة لهم ومشهورة كالتكك الأرمنية التى تعمل بسلماس ، تباع التكة من دينــار إلى عشرة دنانير ولا نظير لها فى ســائر الأرض . ثم قال وأكثر ما يخرج إلى بلاد الاسلام من الديباج والبزيون وثياب الكتان الرومى وثياب الصوف والأكسية الرومية فمن اطرابزندة (المسالك والممالك ص ٢٤٦) ـ وقال الثعالبى وكان يحمل إلى حضرة السلطان مع خراج أرمينية كل عام ـ وهو ثلاثة عشر الف الف درهم ـ من البسط المحفورة (؟) ثلاثون بساطاً ومن الرقم خمسمائة وثمانون قطعة ومن البزاة ثلاثون بازياً (ثمار القلوب ٤٢٨) .

بناحية الزنج الى الهند والى اليمن ، ثم الحمر المشرقة ، ثم الديزَج [١] .

وخير الشواهين السود الغرابية البحرية ، والبيض الجرجانية .

وكذلك البواشق يستحب منها السود الغرابية البحرية ، ثم البيض الهندية ، ثم الحمر البحرية ، الُحمر البطن والصدر بيكانات [٢] بيض ، المزهر اللون ، الكبير الرأس ، الغائر العينين من غير هزال ، العريض المنخرين ، الواسع الصدر مرتفعه ، اللين الزغب ، الطويل الذنب ، الاخضر الأرجل الذى رجله قريبة من الدستبان [٣] الثقيل الوزن فاذا بلغ وزنه مائة وثلاثين [٤] فذلك غاية [٥] .

---

(١) الديزج ، فارسى معرب ديزه بالكسر ومعناه ذولونين أو هو بين لونين غير خالص (تاج ٢ : ٤٢) ويروى أيضا ديرج بالراء المهملة (النهاية لابن الأثير ٢ : ٢٢) .

(٢) يكانات ، فارسى معرب وأصله « يكانه » ومعناه واحد والمقصود هنا معلم بنقط بيض .

(٣) الدستبان ، فارسى معرب وهو القفاز من جلد يتخذه البياز فى يده عند ما يلعب أو يصطاد بالطير الجوارح .

(٤) كذا ورد من غير تعيين ، والمظنون انه يقصد مائة وثلاثين درهماً يعنى نحو أربعمائة وعشرة غرامات باعتبار وزن الدرهم الشرعى بثلاثة غرامات وخمسة عشر سنتيغرام .

(٥) قال القلقشندى : المختار من صفات الشواهين فيما ذكره صاحب « المصايد والمطارد » الأحمر اللون إذا كان عظيم الهامة ، واسع العينين حادهما ، سائل السفعتين ، تام المنسر ، طويل العنق ، رحب الصدر ممتلىء الزور عريض الوسط جليل الفخذين قصير الساقين ، قريب العقدة من القفا ، طويل الجناحين ، قصير الذنب ، سبط الكف ، غليظ دائرة الخصر ، قليل الريش لينه ، تام الخوافى ، ممتلىء العكوة (صبح الأعشى ٢ : ٥٨) — وقال أيضاً فى صفة البزاة ناقلا عن الكتاب المتقدم : المختار من ألوانها الأحمر الأكثر سواداً الغليظ خطوط الصدر والاشهب الشديد الشهبة

وزعموا ان اليؤيؤ [١] ذكورة الصقور ، والعفصى [٢] ذكورة البواشق وذكورة البزاة بمنزلة اليؤيؤ الصغير .

وقالت الفرُس: لايكاد الفرَس والبازى يكونان حسنى المنظر لا مخبر لهما ، ولا حسنى المخبر لا منظر لهما ، فان اجتمع المخبر والمنظر كان فائقاً .

باب آخر

كل ثوب من اللباس والفرش اذا كان ألين وأنعم وأسنى كان أرفع ، وكل علق من الجواهر والأحجار اذا كان أصفى وأضوأ فهو أنفس ، وكل حيوان من الوحشية والأهلية اذا كان أجسم وأطوع فهو آثر وأفخر ، وكل انسان من الشريف والوضيع اذا كان أعقل وأسهل فهو أجمل ، وكل امرأة حرة أو أمة اذا كانت أكثر سكوناً وأجمل حالاً وأنزر طعما وأشكر للناس فهى أصون ، وكل طير من السهلية والجبلية اذا كان آلف كان آثر ، وكل طارف وتالد اذا كان أزكى وأجل فهو أهنأ ، وكل عدو صغير أو كبير اذا كان حميا فهو أعدى وأشد حسداً ، ومن لم يعرف مأواه فمحذور قربه ؛

الشبيه بالأبيض ، والأصفر المدبج الظهر ـ ثم قال : ان ذكر البازى يسمى الزرق (صبح ٢ ص ٥٦ و ٥٧) .

(١) « اليؤيؤ » قال القلقشندى : وتسميه أهل مصر والشام الجلم . هو طائر صغير أسود اللون يضرب للزرقة وسموه الجلم أخذاً من الجلم وهو المقص تشبيهاً به لأن له سرعة كسرعة المقص فى قطعه (صبح ٢ : ٦١) .

(٢) « العفصى » طائر صغير اشتق اسمه من لونه إذ كان يشبه العفص ـ وورد فى صبح الاعشى اسم العفصى « بالفقمى » وفى التعليق عليه قال مصححه « العقصى » (؟) وكلاهما تحريف والصواب العفصى كما هنا للسبب الذى بينا ـ قال القلقشندى : هو باز قضيب قليل الصيد ذاهل النفس (صبح ٢ : ٥٧) .

والدول تنتقل والأرزاق مقسومة فاجملوا فى الطلب وارحموا المسكين واعطفوا على الضعيف تجاوزوا به وتثابوا ، والقضاء جالب يجلب الأمور، وخير النوم مايذهب الاعياء والكسل ؛

ومعرفة الأشياء بالحواس الخمس جودة الشيء بالنظر ان يكون حسناً رائقاً ، و بالخيشوم اذا كان طيباً أرِجاً ، و بالمذاق اذا كان حلواً عذباً ، و بالسمع أن يكون صافى الوقع والصوت ، و باللمس أن يكون ليناً ناعماً (١) .

وكانت العجم تقول : القلب والبصر شريكان ، والطعم والحس متفقان، والفطنة والحفظ رفيقان ، والسمع والمنطق مجتمعان .

وخير الناس السهل الطلق الوجه المتواضع ، وفراسة الرجل السوء أن يكون منقبضاً غير منشرح ، وأن يُرى لونه الى الصفرة والكمود من غير مرض ، وأن يكون طائش القلب، وأن يكون للدعابة والمزاح كارهاً له عائباً ، وأن تراه غليظ اللفظ عند المحاورة .

ومن فراسة الرجل الصالح أن تراة سهلا طلقاً ذا منظر بهيّ وكلام شهيّ، سبط الجبين غير منقبض ولا نزق علق قلق ، وغير كاره للدعابة والمزاح ، يذكر من يذكر بخير لين المحاورة متواضعاً .

وزعم سابور الملك أنه ليس ينبغي للعاقل أن يعتدّ بقول سبعة من الناس: بقول السكران ، والدلال ، والمضحك ، والعليل ، والعراف ، والنمام ، والنساء .

تم الكتاب ولله المنة والحمد كما هو اهله

وصلى الله على محمد وآله وسلم

---

(١) ذكر الجاحظ (الحواس الخمس) غير ما مرة فى غضون تآليفه المطبوعة ، قال : هى السمع ، والبصر ، والذوق ، والشم ، والمجسة ـ ولم يقل اللمس (كتاب الحيوان ج ٣ ص ٨٩) .

تتمة للناشر

رأينا من المناسب أن نثبت هنا فصلاً عقده الرحالة ابن الفقيه الهمذانى — وهو قريب من عصر الجاحظ — فى (كتاب البلدان) له فى « ذكر ما خص الله تعالى كل بلدة بشىء من الأمتعة دون غيرها » — وقصدنا بذلك مقابلة ما كتبه الجاحظ فى باب « ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والأمتعة وغير ذلك » وهو الوارد فيما مر من رسالته هذه .

قال أبو بكر أحمد بن محمد الهمذانى المعروف بابن الفقيه [1] .

ولولا أن الله عز وجل — خص بلطفه كل بلد من البلدان وأعطى كل إقليم من الأقاليم بشىء منعه غيرهم لبطلت التجارات وذهبت الصناعات ولما تغرب أحد ولا سافر رجل ولتركوا التهادى وذهب الشراء والبيع والأخذ والاعطاء ، إلا أن الله عز وجل أعطى كل صقع فى كل حين نوعا من الخيرات ومنع الآخرين ليسافر هذا إلى بلد هذا ، ويستمتع قومٌ بامتعة قوم ليعتدل القسم و ينتظم التدبير . قال الله عز وجل : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا » . وقال الله عز وجل : « وقدَّرَ فيها أقواتها » .

فخص الله — جلّ وعزّ — بلاد « السند » « والهند » بأنواع الطيب والجواهر كاليواقيت والألماس وغير ذلك من الحجارة الثمينة والسكر كدن والفيل والطاووس والأعواد والعنبر والقرنفل والسنبل والخولنجان والدارصينى والنارجيل

(١) (كتاب البلدان) طبعة ليدن سنة ١٣٠٢ ص ٢٥١ .

والهليج والتوتياء والقنا والخيزران والبقّم والصندل والساج والفلفل وعجائب كثيرة .

وخص أهل « الصين » بالصناعات وأعطاهم مالم يعط أحداً فلهم الحرير الصينى والغضائر والسرج وغير ذلك من الآلات المحكمة العجيبة الصنعة المتقنة العمل ، ولهم أيضاً مسك إلا أنه ليس بجيد ، وقالوا إنما يتغير فى البحر لطول المسافة .

ثم « الروم » وما قد خصها الله عز وجل به من العلوم والآداب والفلسفة والاحكام والهندسة والحذق بالأبنية والمصانع والقلاع والحصون والمطامير وعقد الجسور والقناطر وعمل الكيمياء ، ولهم من الديباج الرومى والبزيون ، وفى بلادهم الميعة والمصطكى .

ثم هذه البلاد وما خصت به من الرمى فهم رماة الحدق ولهم الخيل العجيبة والأفراس السابقة ، وفى بلادهم معدن الزبرجد والذهب وزيهم شبيه بزى العرب كأنها قطعة من بلاد اليمن .

ولأهل « المغرب » البغال البربرية والجوارى الأندلسية والنمور الزنجية .

ثم ماقد خص به أهل « مصر » من النيل وعجائب ما فيه من السمك والخيل والتماسيح ، ولهم السمك الرعاد والاسقنقور ، ولهم الثياب الدبيقية والشطوية والقصب الموزون والمسير وغير ذلك من أنواع ثياب الكتان والصوف من الأكسية ، ولهم البغال المصرية والحمر المريسية والثياب التنيسية والاسكندرانية .

ولأهل اليمن الحلل اليمانية والثياب السعيدية والعدنية ، وفى بلادهم الورس والكندر ، ولهم النجائب المهرية والسيوف اليمانية ، وفى بلادهم القردة والنسناس وغير ذلك من أنواع العجائب .

ثم العراق قلب الأرض وخزانة الملك الأعظم وما قد خصّ الله جلّ

وعلا به أهل الكوفة خاصة من عمل الوشى والخزّ وغير ذلك من أنواع الفواكه والتمور والقسوب ماقد عدم مثله بالبصرة والأهواز و بغداد والحجاز مثل الهَيْرُون والمُشان وقسب العنبر والبِرْسيان ، ولهم الأدهان الطيبة الكثيرة ، ثم قل فى عجائب (بغداد) ماشئت التى قد اجتمع فيها ماهو متفرق فى جميع الأقاليم من أنواع التجارات والصناعات ، ولهم الذى لايشركهم فيه أحد الثياب البيض المروية والزجاج المحكم من الأقداح والأقحاف والكاسات والطاسات والغضائر الحجرية ، ولهم الدَّارش واللكَّاء خاصة وفيهما أعجوبة ، وذلك أن الدارش يتخذ من هذا الجانب واللكاء من ذلك الجانب فلو جهد صاحب الدارش أن يتخذ من جانب صاحب اللكاء لأعوزه وكذلك لو جهد صاحب اللكاء أن يتخذ فى جانب صاحب الدارش لتعذر عليه ذلك ، على أنهم قد امتحنوا ذلك وجرَّبوه ففسد وتعذر عليهم ، وقد حمل المعتصم بالله صناع القراطيس إلى سرّ من رأى مع تربتها ومائها وأمرهم باتخاذه هناك فلم يخرج منه إلاَّ الخشن الذى يتكسر.

ولأهل كورة دجلة والسواد ومَيْسَان وَدستْ مِيسان من عمل الستور والبسط وعمل المَيْسانى والحرير والدَّرانِك والدُّورَنْك وغير ذلك من أنواع الفرش والبسط ما ليس لأحد .

ولأهل (البصرة) من النخيل وأنواع التمور ما عدم مثله فى جميع كور النخيل ، وذكر « الجاحظ » أنهم أحصوا أصناف نخل البصرة دون نخل المدينة ودون مصر واليمامة والبحرين وعُمان وفارس وكرمان ودون الكوفة وسوادها وخيبر وذواتها والأهواز وما بها أيام المعتصم واذا ثلاثمائة وستون ضرباً من مغلّ معروف وخارجى موصوف و بديع غريب مع طيب عجيب .

ولأهل (الأهواز) انواع من السكر والتمور .

ولاهل (السوس) خاصة (وجُنْدَيْسابور) حذق فى اتخاذ أنواع ثياب الحرير والديباج وكذلك لاهل (تستر) .

ثم (الجبل) وعجائبها وما قد أعطوا من الفواكه السرية الكثيرة والزعفران والأقطان واتخاذ طرائف الألبان كالجبن واللوز .

ولأهل (همذان) خاصة حذق باتخاذ المرايا والملاعق والمجامر والطبول المذهَّبة التى قد فاقوا بها وباتخاذها جميع أهل الأرض .

ولأهل (الرى) الأطباق المدهنة والحرير وآلات كثيرة يتخذونها من الخشب من الأمشاط وغير ذلك من المالح والمغارف ، ولهم الاكسية البيض الطرازية والطيالسة البيض السرية والثياب المنيّرة .

ثم بغداد الثانية أعنى (اصبهان) وما أعطى أهلها من طيب الهواء وعذوبة الماء والحذق بأنواع الصناعات ، فلهم الثياب المروية والعتابيـة والملاحم العجيبة والحلل الابريسمية المنسوجة وغير المنسوجة والثياب السعيدية .

(ولفارس) فضل فى اتخاذ الآلات الظريفة المحكمة من الحديد حتى لقد قال بعض الحكماء لما وقف على أشياء ظريفة عند بعض الملوك من آلات فارس : لقد ألان الله عز وجل لهولاء القوم الحديد وسخره لهم حتى عملوا منه ما أرادوا ، فهم أحذق الأمة بالجوامع والأقفال والمرايا وتطبيع السيوف والدروع والجواشن ، ولهم الثياب الجُبائية والسينيزية ، ولهم الماورد الجورى والطين السيرافى والاكسية الفسوية والأدهان السابورية والثياب الكازرونية .

ولأهل (سجستان) عمل المشارب السجزية والكيزان وآلات كثيرة من الشبه والصفر .

ولأهل (طبرستان) و (الديلم) و (قزوين) حظ من عمل الأكسية الرويانية

والآمُلية واتخاذ الستانك والمناديل وأشياء كثيرة من أنواع ثياب القطن والصوف والابريسم والكتان .

ولاهل (جرجان) من الابريسم ما ليس عند غيرهم ومنها يحمل إلى جميع البلدان ، ولهم حذق باتخاذ الديباج والمقانع والثياب والستور وغير ذلك .

ولاهل (نيسابور) الثياب الملحمة والطاهرية ، ولهم التاختج والراختج وليس هذا إلاّ لهم .

ولأهل (مَرْو) الثياب المرزوية والملاحم الفائقة التى هى اعلى الملاحم .

(وبخراسان) فواكه كثيرة سرية وأعناب طيبة ، ولهم الزبيب الكُشْمهانى والكِشمش و بطيخ يقدّد ، وقد كان فيما مضى يحمل بطيخها الى الخلفاء فى قدور نحاس لشدة حلاوتها ولذتها وطيبها (كذا بالأصل) ، ولهم الاشْترغاز والانجُذان والغُوَشنة والكيلكان والرَّخْبين والملبن ، و بها معدن الفيروزج واللازورد والرُكب المروية والثياب السمرقندية ، ولهم الاشكن والخلنج و بها الخُتُوّ .

(و بالترك) السمور والفنَك .

(و بالتُبّت) المسك التُبّتى والدرق التبتية .

فسبحان من أعطي كلّ بلد نوعا من الخيرات ، وجنسا من الصناعات ، وتبارك الله أحسن الخالقين .

فهرس التبصر

صفحة